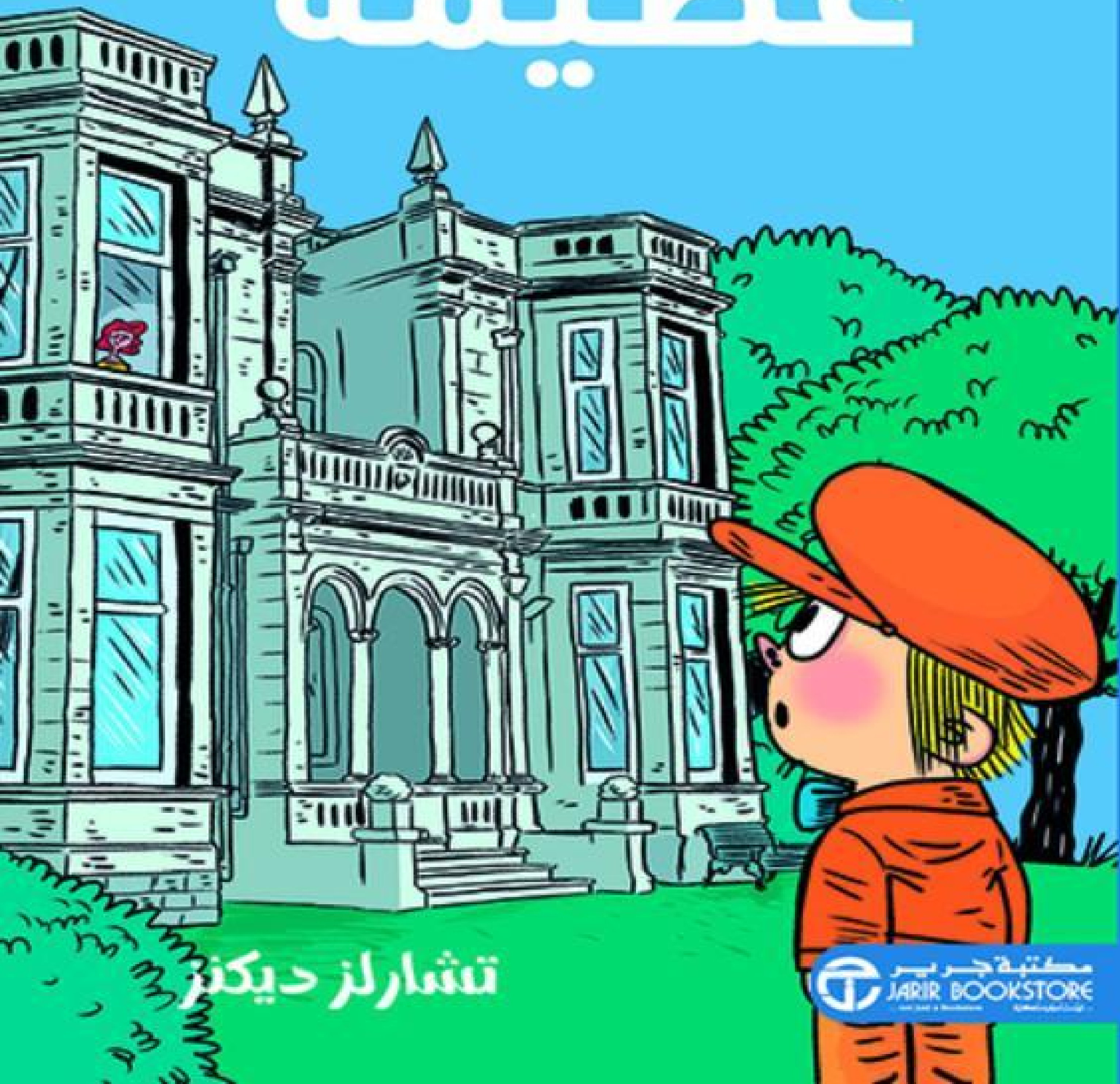
كلاسيكيات مُبسطة

آمال عظيمة



تشارلز ديكنز

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

الغلاف الأمامي

كلاسيكيات مُبسطة

آمال عظيمة



تشارلز ديكنز

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

حقوق الطبع والنشر

تشارلز ديكنز

مجموعة تشارلز ديكنز القصصية



للتعرف على فروعنا

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت www.jarir.com

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: jbpublications@jarirbookstore.com

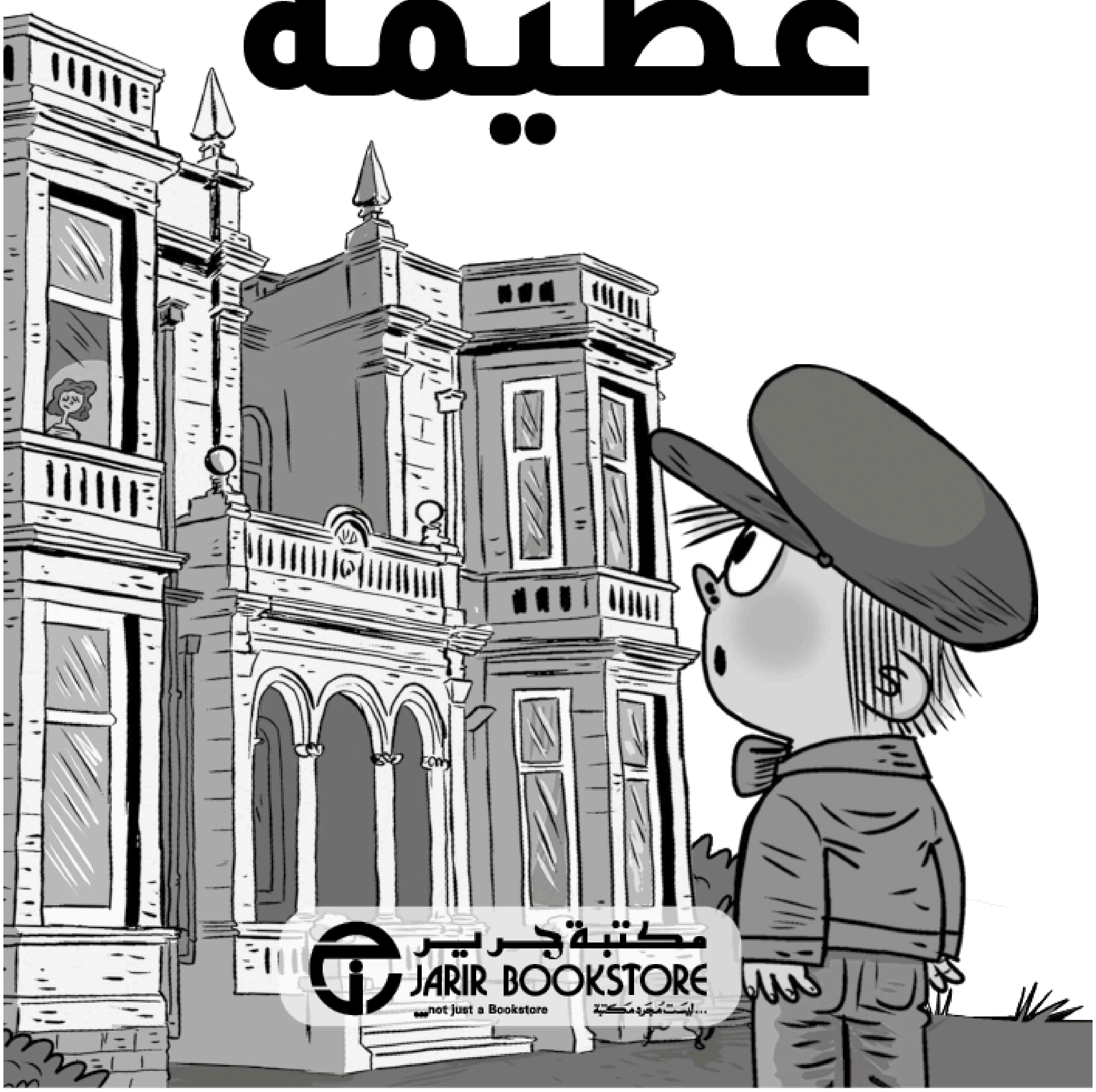
تحديد مسئولية / إخلاء مسئولية من أي ضمان

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والناتجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسئولية ونخلي مسئوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمّل أي مسئولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى 2024

تشارلز ديكنز

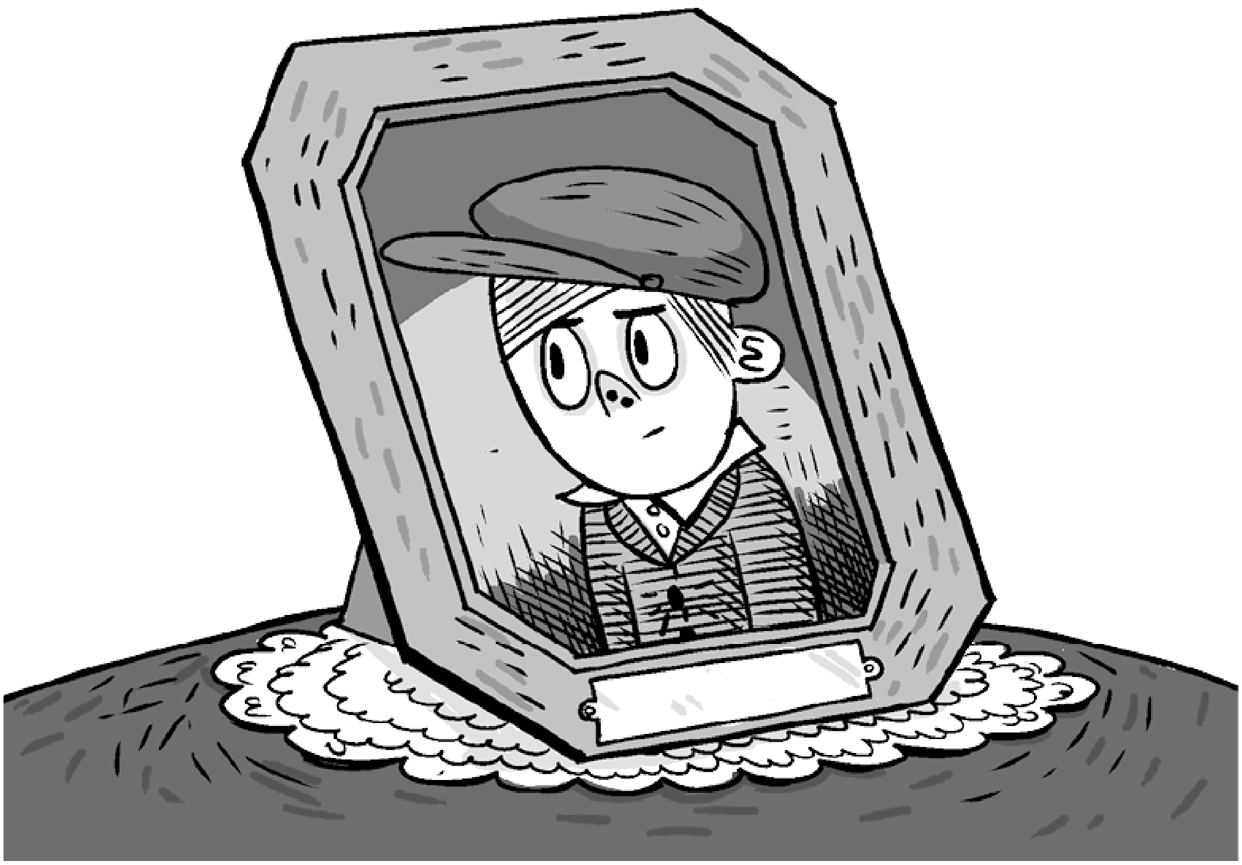
آمال عظيمة



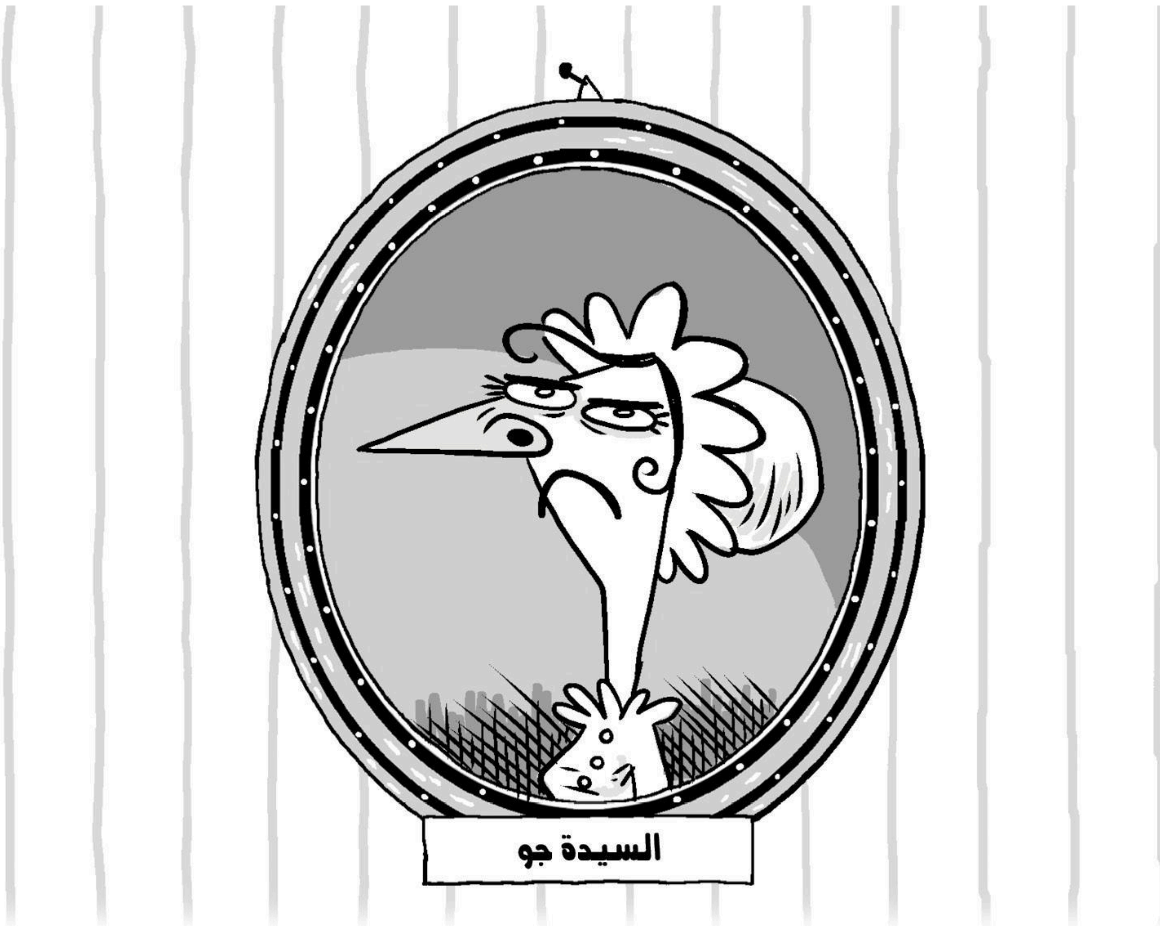
بيب يلتقي بسجين

هذه قصة نحكيها عن فيليب بيريب.

لكن الناس يطلقون عليه بيب. لا يتذكر بيب أمه وأباه لأنهما ماتا وهو لم يزل صغيرًا جدًّا.



تولت شقيقة بيب، التي تكبره بعشرين عامًا، رعاية الصغير بيب، وتزوجت من جو جارجري، وهو رجل قوي ذو قلب رقيق، شعره أشقر مجعد وعيناه زرقاوان. كان جو يعمل حدادًا في قرية تقع عند مصب نهر التيمز عند منطقة مسطحة مليئة بالمستنقعات، لا تبعد كثيرًا عن البحر.



كان لجو بنية جسمانية ضخمة وقوية، لكنه كان يخاف قليلًا من زوجته، وكان بيب أيضًا يخافها. إن السيدة جو، وقد صار هذا اسمها بعد زواجها، كانت تسارع بالشجار مع كل من بيب وجو، فكانت تقرِّعهما بالكلمات وفي بعض الأحيان بالعصا!



ورغم أن بيب لا يتذكر والديه، فإنه كان يذهب في بعض الأحيان إلى فناء دار العبادة وينظر إلى قبريهما.

ذهب بيب إلى فناء دار العبادة في الليلة السابقة للعيد؛ حيث القبور، وقد أوشكت الشمس على المغيب، وبدأ يرتجف من البرد، وكانت الرياح الباردة تهب من اتجاه النهر. كان يشعر بالأسى على حاله، وبدأ يبكي.



فجأة سمع صوتًا مخيفًا يقول: «توقف عن هذا الصخب!».

قفز رجل ضخم من وسط القبور، وكان يرتدي ملابس رمادية بالية، وكان مبللًا ومتسخًا بالوحل وجسده يرتجف من البرد، والأسوأ من كل هذا، تلك السلسلة الحديدية التي كانت تقيد كاحليه معًا.

سأل الرجل: «ما اسمك أيها الغلام؟».

- «اسمي بيب يا سيدي».

- «أين تعيش؟».



أشار الولد بيد مرتعشة إلى قريته التي تبعد عن ذلك المكان بمسافة كيلومتر ونصف تقريبًا.

سأل الرجل بصوت أجش: «أين والدتك ووالدك؟».

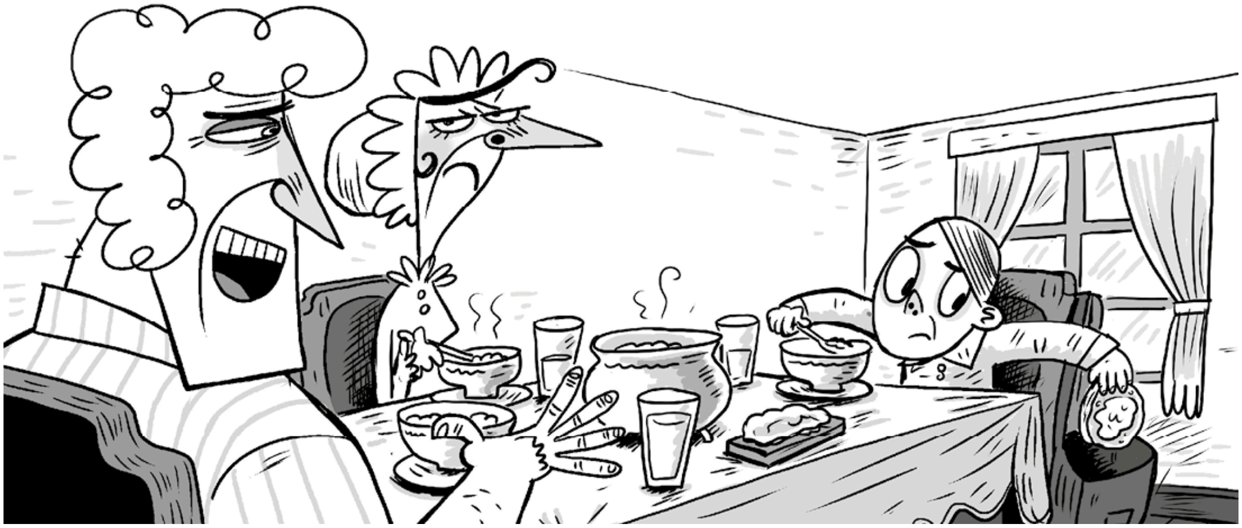
أجابه بيب وهو يشير إلى المقابر: «هناك، أنا أعيش مع شقيقتي السيدة جو، وهي متزوجة من الحداد جو جارجري».

نظر الرجل إلى السلسلة التي تحيط بكاحليه ثم قال له: «حداد!». ثم مد يديه الكبيرتين واعتصر وجنتي بيب بقوة: «إليك ما ستفعله يا غلام، اذهب إلى بيتك، وأحضر لي في صباح الغد بعض الطعام، وأحضر لي مِبردًا، وإذا لم تفعل فقد آكلك بدلًا من الطعام، وسأبدأ بأكل وجنتيك السمينتين هاتين».



ركض بيب في ذعر، وكانت شقيقته غاضبة جدًّا بسبب تأخره وبدأت تصيح فيه، وأخذت تخبط بقدميها، وتهز قبضتها متوعدة، وتصرخ بالأسئلة لتعرف ما المصيبة التي كان ينوي فعلها.

في وقت لاحق أثناء تناول الأسرة الشاي، تمكن بيب من إخفاء شريحة من الخبز والزبد للرجل ذي الملابس الرمادية المختبئ في المستنقعات، وعلى مسافة بعيدة سمعوا جميعًا صوت دوي مدفع، فقال جو إن الصوت صادر من سفينة السجن الراسية عند مصب النهر، ومعناها أن هناك سجينًا مدانًا قد فر.



لم يكد بيب يغمض له جفن في تلك الليلة، وتسلل في وقت مبكر من صباح يوم العيد إلى الطابق السفلي وأخذ بعض الجبن، وقليلًا من الشراب في زجاجة، وفطيرة لحم مستديرة لذيذة من خزانة شقيقته.

ركض بيب عبر الضباب الصباحي حتى وجد الرجل ذا الملابس الرمادية، ولما رأى الرجل الطعام والشراب التهمهما التهامًا كأنه كان يعيش في مجاعة.

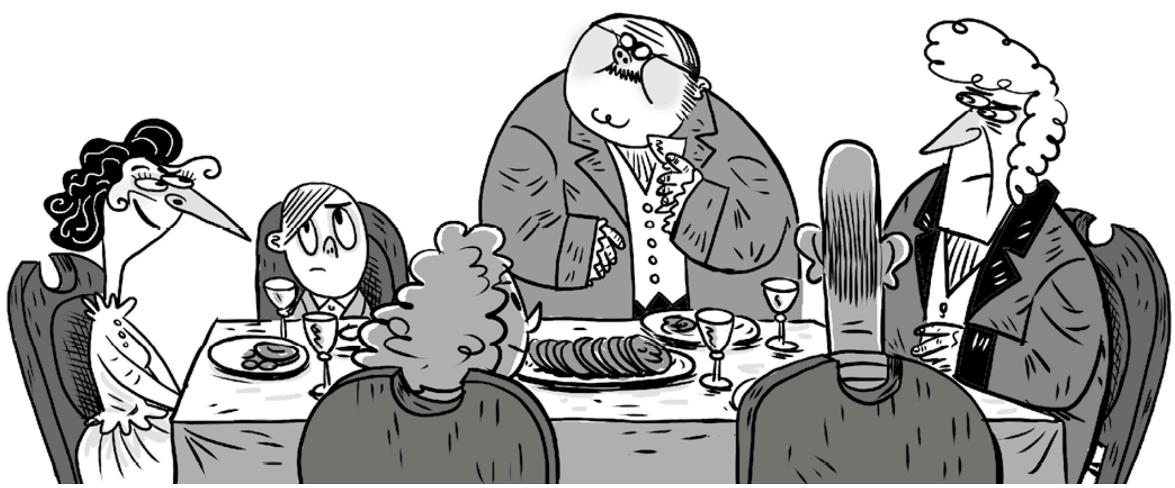
استجمع بيب شجاعته ليقول: «أنا سعيد لأن الطعام قد أعجبك».



لم يجب الرجل، بل صدر من حلقه صوت طقطقة غريب، وطلب المِبرد الذي أخذه بيب من ورشة جو، ثم بدا كأنه قد نسي الولد تمامًا، وعندما غادر بيب، كان الرجل يحاول بَرْدَ السلسلة من حول كاحليه بكل غضب.

استقبلت السيدة جو ضيوفها في ليلة العيد، وكان أحدهم هو السيد بامبلتشوك، عم جو، الذي لديه فم أشبه بفم السمكة، وأخذ هو وبقية الضيوف يلقون المواعظ على بيب حول ما يتحتم عليه من الشعور بالامتنان لشقيقته على تربيتها له.

وقع الأسوأ من ذلك عندما ذهبت السيدة جو لكي تحضر فطيرة اللحم من الخزانة. كان بيب يعرف أن رجل المستنقعات قد التهمها تقريبًا في قضمة واحدة، وفي أي لحظة سوف تعود أخته خالية الوفاض وممتلئة بالغضب.



ورأى بيب أنه من الأفضل أن يختفي من هذا المكان قبل عودتها، فنهض من فوق مائدة الطعام، وركض تجاه الباب الأمامي... ليجد أمامه مجموعة من الجنود.

كان أحدهم، وهو رقيب، يحمل في يده زوجًا من الأصفاد، ولحسن الحظ لم يكونوا يبحثون عن سارق فطيرة اللحم، بـل عــن الســجــين الهــارب من سفينة السجن.

تحمس الجميع لاحتماليـــة مـطـاردة الســجين الهــارب، وهــمـــس جـــو ذو القلب الرقيق لـ بيب بأنه يأمل ألا يعثروا على السجين، وهذا أيضًا ما كان بيب يأمله.



انطلق جو وبيب مع الجنود وبعض أهل القرية بحثًا عن السجين؛ حيث كان الجو باردًا وكئيبًا. وحمل جو الولد على ظهره ليعبر به بِرك المياه وقنواتها، وفجأة سمعوا صوت صرخة مفاجئة إلى يمينهم، لم تكن صادرة عن الجنود، فتوجه الجميع ناحية الصوت.

كان هناك رجل يتخبط في المستنقع، وعلى وشك أن يغرق فيه. كان الظلام قد حل، لكن حتى رغم عدم وضوح الرؤية، علم بيب أنه الرجل ذو الملابس الرمادية، وقام ثلاثة من

الجنود بسحبه من المستنقع الموحل.

وبعدما أخرجوا السجين، كان الطين يغطيه حتى لا يكاد أحد يفرق بين الطين وبين الملابس المهلهلة التي يرتديها. رفع السجين نظره ورأى بيب، الذي هز رأسه ببطء؛ حيث لم يشأ الغلام أن يظن السجين المغطى بالطين أنه هو من قاد الجنود إليه.

قال الرقيب: «لقد أمسكنا بك يا آبيل ماجفيتش».



قال السجين: «أريد أن أقول شيئًا، حتى لا تلقوا باللوم على أي شخص آخر، لقد سطوت على ورشة حدادة قريبة من هنا، وسرقت منها مِبردًا وفطيرة لحم».

قال جو: «بالهناء والشفاء يا رجل، فأيًّا كان ما ارتكبته من أخطاء، فلا ينبغي أن تجوع حتى الموت».

ولم يقل السجين شيئًا، لكن صدر من حلقه صوت طقطقة غريب، وكأن هذا السجين لم يصادف قط شخصًا قال له كلمة طيبة في حياته كلها.

قاده الرقيب والجنود بعيدًا.

همس بيب: «ماذا سيحدث له يا جو؟».

أجاب جو: «سوف يؤخذ السيد ماجفيتش إلى سفينة السجن، ثم يتم ترحيله إلى أستراليا».

- «أستراليا؟ أين تقع؟».

- «لست متأكدًا من مكانها يا بيب، لكنها بعيدة جدًّا عن هنا».



في الطريق إلى المنزل ذهب بيب في نوم عميق بينما جو يحمله على ظهره.



منزل ساتيس

لم يفكر بيب حقيقة فيما يريد أن يعمله في حياته، والسبب في عدم تفكيره هو أنه كان يعلم بالفعل أنه سيصبح حدادًا مثل جو، وكان قد بدأ بالفعل في مساعدة جو في ورشة الحدادة.

لكن سرعان ما تغيرت الحال عندما أعلن السيد بامبلتشوك عن تلقي بيب دعوة كي يلتقي بسيدة ثرية تعيش قريبًا من سوق المدينة المجاورة اسمها الآنسة هافيشام، كانت تريد أن يأتي ولد صغير ليلعب في بيتها الكبير.

قالت السيدة جو إن هذا أمر جيد، وكذلك قال السيد بامبلتشوك، ولم يسأل أحد بيب عن رأيه، وقامت السيدة جو بتحميم بيب وفرك جسده وإلباسه أفضل الملابس، وبعدها ذهب بيب مع السيد بامبلتشوك في عربته إلى منزل الآنسة هافيشام. كان اسم المنزل غريبًا: منزل ساتيس، ورغم وجود سياج من القضبان الحديدية حول المنزل، فقد رأى بيب الفناء ورأى نوافذ الطابق الأرضي التي توجد عليها قضبان حديدية أيضًا.

قرع السيد بامبلتشوك جرس الباب عند البوابة، وبعد قليل جاءت فتاة صغيرة تمشي ببطء شديد عبر الفناء، وتمسك في يدها مجموعة من المفاتيح، وسمحت لـ بيب بالدخول، لكنها أخبرت السيد بامبلتشوك بأن الآنسة هافيشام لن تقابله هو الآن. عندئذٍ بدا فم السيد بامبلتشوك أكثر شبهًا بفم السمكة أكثر من أي وقت مضى.



ولم تنطق الفتاة بأي شيء باستثناء أنها أخبرت بيب بأن يسرع، وكانت تناديه بكلمة «ولد»، رغم أنهما كانا في العمر نفسه تقريبًا، لكنها كانت شديدة الجمال والثقة بدرجة جعلتها تبدو أكبر كثيرًا من عمرها.

كان البيت مظلمًا بالداخل، فأخذت الفتاة شمعة مضاءة، وسارا في طريقهما عبر متاهة من الممرات حتى وصلا إلى الباب.

وقالت: «ادخل».

- «بعدكِ يا آنسة».

- «لا تتصرف بسخف يا ولد، فأنا لن أدخل».



طرق بيب الباب بشيء من الخوف، وأخبره أحدهم بالدخول. كانت الغرفة كبيرة ومضاءة جيدًا بالشموع، وعلى نوافذها ستائر ثقيلة، وفوق الكرسي تجلس أغرب سيدة رآها بيب من قبل؛ فقد كانت هناك طرحة بيضاء موضوعة على رأسها ذي الشعر الأبيض، وكانت ملابسها بالكامل بيضاء اللون، والمجوهرات تتلألأ في رقبتها ويديها.

قالت: «أنت الصبي الذي أرسله السيد بامبلتشوك؟».

- «نعم يا سيدتي، أنا بيب».

قالت المرأة: «اقترب مني».



ولما اقترب بيب منها رأى أن فستانها الأبيض الطويل كان باهتًا ومصفرًّا بفعل الزمن.

- «كم عمرك يا بيب؟».

- «ثماني سنوات يا سيدتي».

- «أنا لم أر ضوء الشمس منذ أن وُلدت أنت يا بيب».

ولم يعرف بيب بماذا يجيبها، لهذا لم يقل شيئًا، ثم طلبت منه الآنسة هافيشام أن يستدعي «إستيلا»، ولم يكن يعرف من هي، لكنه ذهب ناحية الباب، ونادى قائلًا في الردهة المظلم: «إستيلا»، وفرح لما رأى الفتاة الصغيرة الجميلة تعود ثانية، وهي تحمل الشمعة.

أرادت الآنسة هافيشام أن تشاهد إستيلا وبيب وهما يلعبان الورق معًا، وكانت اللعبة الوحيدة التي يعرفها لعبة بسيطة وقد فازت عليه فيها إستيلا عدة مرات، ولم تبتسم ولو مرة واحدة طوال فترة لعبهما، وأبدت ملاحظات وقحة حول رعونة بيب في حركة يديه.



وأخيرًا سُمح لبيب بالعودة إلى منزله، وأخبرته الآنسة بأن يعود ثانية بعد بضعة أيام، وكادت إستيلا تدفعه دفعًا خارج البوابة الأمامية، ثم أغلقتها وراءه بإحكام. كان بيب

سعيدًا لأنه غادر هذا المنزل، لكنه شعر أيضًا بالحزن. فمن اللطيف أن يجد شخصًا يلعب معه.

وفي المنزل، أمطر كل من السيدة جو والسيد بامبلتشوك بيب بالأسئلة عن الآنسة هافيشام ومنزل ساتيس، وألّف بيب قصة عن كيف أن الآنسة هافيشام طويلة القامة وتجلس على أريكة مخملية، ومن خلال إيماءات السيد بامبلتشوك بالتأكيد، فقد بات واضحًا أنه لم يدخل قط منزل ساتيس، وتسلل شعور خفيف بالذنب لدى بيب بسبب ما يرويه من أكاذيب أمام جو.



الراعي المجهول

توالت الزيارات إلى منزل الآنسة هافيشام، ولم يكن بيب يستمتع بهذه الزيارات، رغم أنه كان يحب دائمًا رؤية إستيلا، ومن الناحية الأخرى كانت إستيلا تحب دائمًا أن تتصرف بوقاحة معه، وغالبًا ما تبدي ملاحظتها حول أنه من «الغوغاء الأفظاظ».

علم بيب أن الآنسة هافيشام قد كفلت إستيلا، وأنها تحب مشاهدتهما يلعبان معًا.



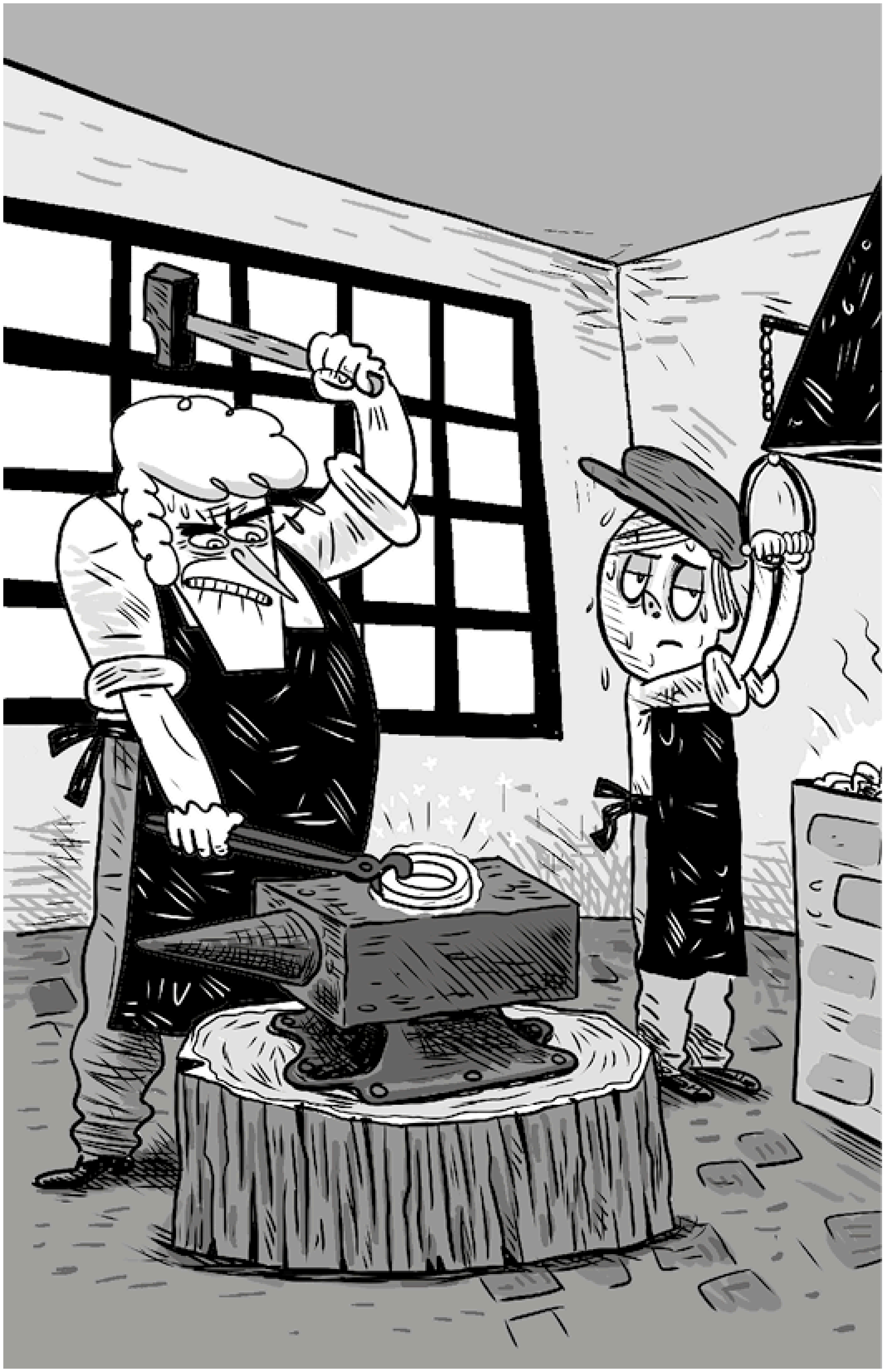
في بعض الأحيان كان يذهب إلى منزل ساتيس زائرون آخرون، وهم أقرباء بعيدون لأسرة الآنسة هافيشام، ووقع ذات مرة شجار بين بيب وولد طويل وشاحب، لم يكن هو البادئ بالشجار، لكنه انتصر فيه، وكانت إستيلا تشاهد شجارهما سرًّا، واستمتعت بذلك كثيرًا. فقد أعجبت بشجاعة بيب أثناء الشجار.

استمرت زيارات بيب لمنزل الآنسة هافيشام عدة سنوات، حتى حان الوقت لكي يتعلم حرفة جو، الحدادة، التدريب على هذه الحرفة بشكل رسمي أمام حاكم، وهذا يعني أن الوقت الذي كان بيب يقضيه مع الآنسة هافيشام وإستيلا - قد وصل إلى نهايته.

كانت إستيلا ستنتقل إلى لندن استعدادًا لتصبح ليدي، وفي تلك الأثناء يبقى بيب في القرية ويصبح حدادًا تمامًا مثل جو، وفيما سبق كان أكثر ما يرجوه هو أن يصبح مثل جو: عاملًا ماهرًا ونزيهًا، لكن زياراته المنتظمة إلى المنزل الكبير جعلته يريد ما هو أكثر، لكن ليس لديه خيار، فماذا يمكنه أن يفعل غير ذلك؟



لقد ارتسمت أمامه حياته التي يقضيها في الحر والعرق في ورشة الحدادة، وإلى جانب زيادة الأعمال المنزلية، فقد تعرضت السيدة جو لإصابة خطيرة، فأصبحت تجلس بسببها في الزاوية في سكون ووداعة وبلا حيلة، وتوقفت ثوراتها الغاضبة، وجاءت فتاة من القرية تدعى بيدي لكي تساعد بيب، وتعتني بالسيدة جو.



وفي أحد الأيام حدث أمر غيَّر كل شيء.

فــي ذلــك الــوقــت كــان بيب معتادًا الــذهــاب إلــى مقــهــى القرية، مقهى السائقين الثلاثة المرحــين، وفــي مساء أحد أيام السبت كان بيب وجو بالمقهى عندما دخل رجل غريب وأخذ يراقبهما من كرسيه ويستمر في لعق إصبعه كأنه يتناول طعامًا لذيذًا. ثم أشار بإصبعه هذا كأنه يشير بالاتهام.

وقال الرجل: «أعتقد أنه يوجد هنا حداد يسمى جو جارجري».

أجاب جو: «هذا أنا».

- «لديك صبيّ عامل يسمى بيب؟».

أجاب بيب: «هذا أنا».



لم يميز هذا الشخص الغريب بيب، لكن بيب تذكره، فقد مر إلى جواره ذات مرة على درج منزل الآنسة هافيشام منذ وقت بعيد. كان للرجل رأس كبير وحاجبان أشعثان، وفكر في أنه وبيب لا شك أحد أفراد عائلة الآنسة هافيشام.

لكن لا، فقد اتضح أنه محامٍ قادم من لندن، واسمه جاجرز، وأراد أن يتحدث مع جو وبيب على انفراد، وكان أفضل مكان لهذا هو غرفة الاستقبال في منزلهما، وبالكاد كان يأتي إليهم أي زوار منذ تعرضت السيدة جو للحادث.

جلس السيد جاجرز على منضدة الاستقبال في منزلهم، وقال: «أيها السيد، أصبح لديك راعٍ، هل تفهم معنى هذا؟».



ظهر عدم الفهم في نظرت جو وبيب الخاوية.



تابع السيد جاجرز بصوته الغليظ: «الراعي هو شخص يريد أن يقدم شيئًا نافعًا لك، ويملك الوسيلة اللازمة لذلك. بمعنى أن هذا الشخص يملك المال، وأن الراعي، يا سيد بيب، لديه آمال عظمى لك، ويرغب في أن تذهب إلى لندن».

سأل بيب: «لماذا؟ ماذا سأفعل في لندن؟»

- «سوف تدرس كيف تصبح رجلًا نبيلًا، ولا يتعين على النبلاء أن يفعلوا أي شيء».

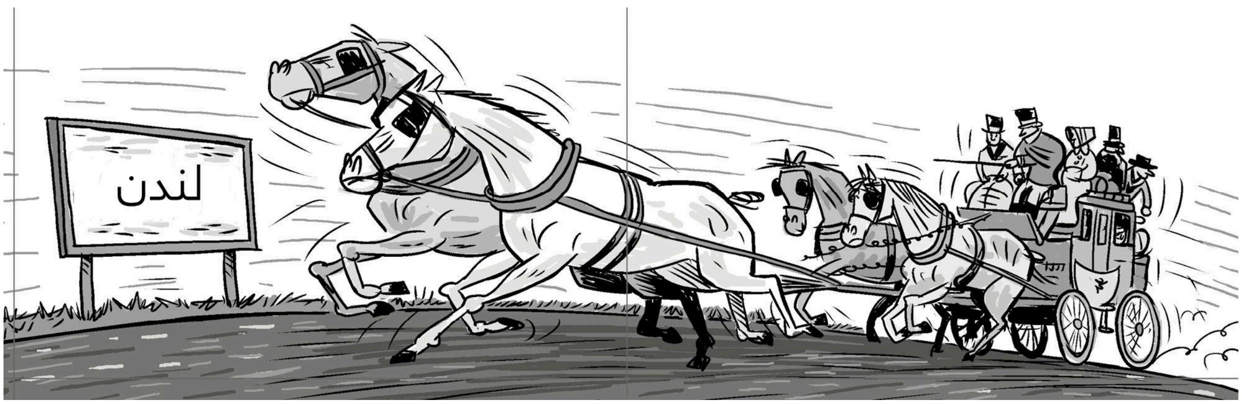
سأل بيب رغم معرفته بالجواب: «من هذا الراعي الطيب؟»، فا شك أنها الآنسة هافيشام! فقد أرادته أن يصبح رجلًا نبيلًا حتى يتزوج من إستيلا!

أجاب السيد جاجرز: «لا يمكنني القول. إن الراعي - أو الراعية - يريد أن يبقى مجهولًا حتى اليوم الذي يختار فيه الكشف عن هويته».

وقال الرجل الكثير مما يستدعي الانتباه والدهشة، وفي تلك الأثناء لم يكد جو ينطق بأي كلمة.

الرحيل إلى لندن

في غضون أسبوع ودع بيب كلًّا من جو وشقيقته السيدة جــو وبيــدي والسيد بامبلتشوك، والآن بعدما بدأ في الطريق ليـصـبـح رجـلًا نبـيـلًا، صار الجميع يتصرفون معه عـلـى نحو مختلف، كأنه أصبح شخصًا غريبًا.



في صباح ذلك اليوم، حمل بيب حقيبته الصغيرة وذهب بمفرده واستقل عربة إلى لندن.

في البداية ذهب بيب إلى مكتب السيد جاجرز، فقد كان المحامي هو الوصي على بيب، ويقدم له المصروف الشهري إلى أن يختار الراعي أن يعلن عن نفسه.

قال المحامي: «مرحبًا يا سيد بيب، ما رأيك في لندن؟».

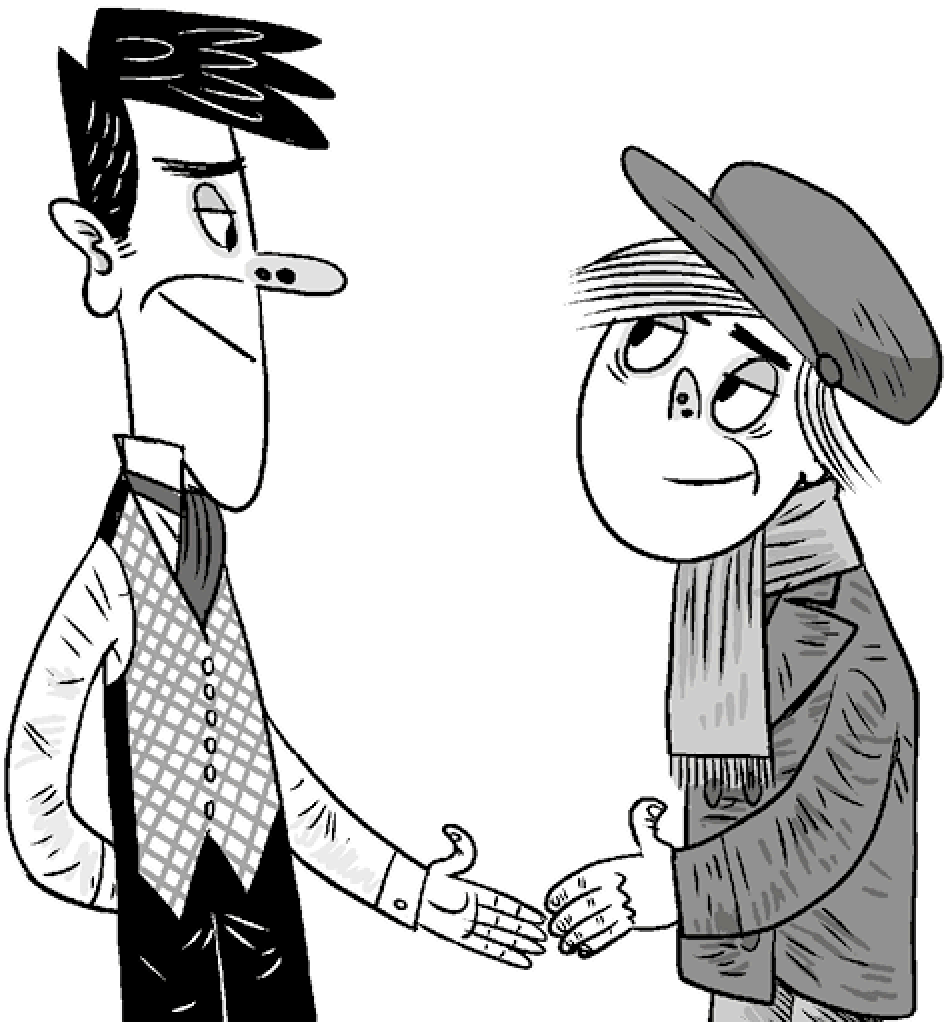


أجاب بيب: «إنها كبيرة جدًّا، و... وأكثر ازدحامًا وقذارة مما كنت أتوقع».

كان السبب في تردد بيب في إجابته هو خشيتة أن يكون جوابه هذا قد ينطوي على شيء من الوقاحة. ضحك السيد جاجرز ببساطة، وأوضح أن بيب سوف يعيش مع شاب نبيل يسمى هيربرت بوكيت، وسوف يتعلم من والد هيربرت السيد ماثيو بوكيتعن الكتب والآداب، وتعد أسرة بوكيت أقرباء بعيدين للآنسة هافيشام.

عندما التقى هيربرت وبيب حدق كل منهما إلى الآخر في دهشة، صحيح أن كلًّا منهما أصبح شابًّا الآن بالطبع، فإن هيربرت كان هو الولد الطويل الشاحب الذي تقاتل مع بيب في

منزل الآنسة هافيشام. لكن هيربرت لم يكن يحمل ضغينة لبيب، بل في الحقيقة كان شخصًا ودودًا جدًّا.



أوضح هيربرت السبب في عدم مغادرة الآنسة هافيشام منزلها مطلقًا وارتدائها الدائم فستانها الأبيض القديم نفسه، فقال إنه منذ سنوات بعيدة، كان من المفترض أن تتزوج، لكن في صباح يوم الزفاف، كتب لها زوجها المستقبلي خطابًا لينهي علاقتهما.

قال هيربرت: «هل لا حظت الساعة الموجودة في غرفتها؟».

أجاب بيب: «نعم كانت متوقفة عند الساعة التاسعة وعشرين دقيقة».

- «ذلك هو الوقت الذي تسلمت فيه الخطاب، وقد توقف كل شيء في تلك اللحظة، وبقي على حاله. إن الفستان الذي ترتديه هو فستان عرسها».



وأضاف هيربرت أن الآنسة هافيشام دربت إستيلا لكي تصبح باردة في معاملة الناس، خاصة الرجال، وبالقسوة ذاتها التي لاقتها الآنسة هافيشام من الآخرين، ودربت إستيلا لكي

تكسر قلوب الرجال.

ذهب جو لزيارة بيب في مكان إقامته في لندن، وقدمه بيب إلى هيربرت، وتصرف هيربرت معه بلطف شديد، لكن بيب كان يشعر بالحرج من جو، رغم أن حداد القرية كان قد ارتدى أفضل ثيابه، بل كان يتحدث معه قائلًا «سيدي» رغم أنه كان معتادًا قول «بيب».

كـان بيـب يــرى إســتيلا فـــي بعض الأحيان، وقـد كـبرت وصـارت سيدة جميلة، ولـم تعد وقحة معه، وكان الاثنان تقريبًا صديقين، رغم أنها لم تبادله الابتسام أبدًا.



كان بيب يعتقد أن راعيه هو الآنسة هافيشام، ولمَّا كانت تريده أن يصبح رجلًا نبيلًا، فلا شك أنها قد غيرت رأيها بشأن رغبتها في أن تكسر إستيلا قلوب الرجال، وربما لن تكسر إستيلا قلب بيب على الأقل.



زار بيب قريته القديمة عـدة مرات، بما فــي ذلك ذهــابه لـحــضور جنازة؛ فقد توفيت شقيقته السيدة جو. لكنه لم يعد ينتمي إلى هناك.

واســتمرت الأمور على هذا المنوال بضع سنوات، وفي لندن تعلم بيب كيف يرتدي ثيابه على نحو أفضل، ويتحدث الفرنسية ويمتطي الفرس، وتعلم كل ما يتعين على الرجل النبيل فعله.

وكثيرًا ما كان ينفق أموالًا أكثر مما يتعين عليه إنفاقه، وكان السيد جاجرز، المسئول عن تقديم مصروفه، يحرك إصبعه ليحذره ويطلب منه التوقف عن إنفاق الكثير من الأموال. ثم يسأله بيب حينها متى تنكشف له هوية الراعي، رغم أنه بالطبع يعلم من هي.

وكانت إجابة السيد جاجرز دائمًا: «سوف تعرف في الوقت المناسب».

وأخيرًا جاء الوقت المناسب.



زائر مفاجئ

في ليلة مظلمة وعاصفة، لم يكن هيربرت، الذي لا يزال بيب يشترك معه في السكن، بالمنزل، وكانت غرفتاهما تقعان في أعلى منزل قديم قريب من النهر، وكانت النوافذ ترتج من شدة قوة الرياح، ودخان المدفأة يهب ويعود من المدخنة.



وفجأة سمع بيب وقع أقدام تتحرك بصعوبة في الطابق السفلي. أخذ بيب المصباح وهبط الدرج، وكانت مصابيح الدرج قد انطفأت.

سأل بيب: «عن أي طابق تبحث؟».

أجـاب صـوت غلـيـظ: «عـن الطابق العلوي».

صعد الرجل الدرج، وكان يرتدي معطفًا خشنًا، كما كـان شـعره طــويلًا بلون رمادي داكـن ومسترسلًا من أسفل قبعته.

قال بيب: «ماذا تريد؟».



- «أريدك يا سيد بيب، وأرغب في الدخول».

وبدا من وجه الرجل، الذي ظهر في ضوء المصباح، أنه شعر بالسعادة عندما رأى بيب، لكن بيب لا يعرفه.

وبمجرد أن دخل الرجل خلع معطفه ووقف إلى جوار نار المدفأة، ومن خلال الطريقة التي بسط بها يديه الكبيرتين السمراوين أمام النار، أدرك بيــب فجأة من هو.

ورأى الرجــل أن بيــب قد عرفه.

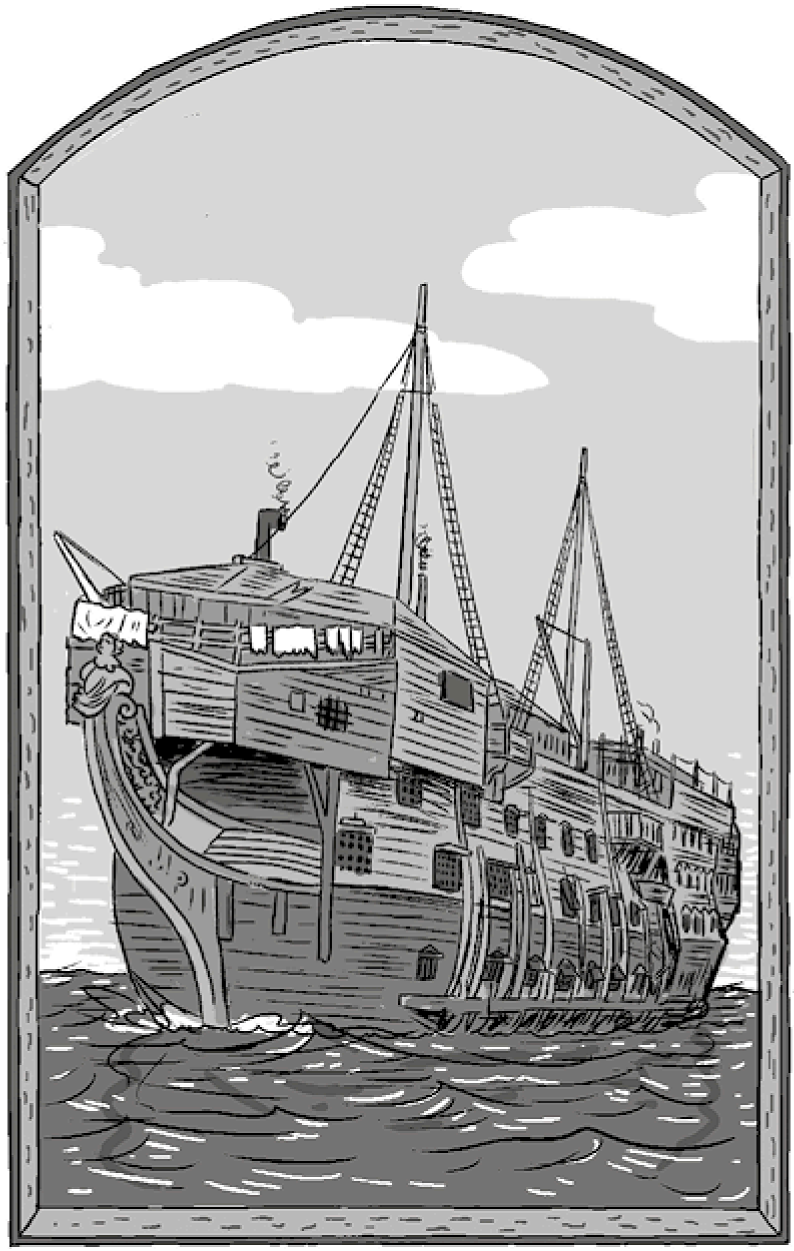


وقال: «نعم، هذا أنا! آبيل ماجفيتش، من سفينة السجن، أنا الرجل الذي كنتُ في المستنقعات، وساعدتني بما أحضرته لي من طعام ومِبرد عندما كنتَ صغيرًا».

تراجع بيب في ذعر.

وسأله في فزع: «ألم يتم ترحيلك إلى أستراليا؟».

جرى نقل الكثير من السجناء رجالًا ونساءً عبر السفن كي يمضوا فترات عقوباتهم على جانب بعيد في العالم، في أستراليا، وهناك حصلوا في نهاية المطاف على حرياتهم، لكن لم يُسمح لهم قط بالعودة إلى إنجلترا.



وأخــبر ماجفيتش بيب أنه قضى فتـرة عقوبته عن جرائمه، وبمجرد أن أصبح حرًّا حقق النجاح في حياته، وجنى الأموال من عمله راعيًا للأغنام في أستراليا، بل جــنى الــكثير مــن الأموال.

قال ماجفيتش: «إذا أُلـقي الـقبض عليّ في إنجلترا فسيكون أمري قد انتهى، لكن رؤيتك يا طفلي الحبيب بعد أن أصبحت رجلًا نبيلًا تستحق هذه المخاطرة. انظر، أنت الآن ترتدي ثيابًا أفخم من ثيابي، وهل هذا الذي في إصبعك خاتم ذهبي يا بني؟».



أومأ بيب بالإيجاب، وقد تزايدت شكوكه عما قد يقال تاليًا.

- «من دفع مقابل هذه الملابس وهذا الخاتم يا سيد بيب؟».

تساءل بيب متعجبًا: «أنت؟! أنت الراعي!».



- «تلك هي الكلمة التي يستخدمها المحامي جاجرز، لكنني أفضل القول إنني صديقك يا سيد بيب، أنا بمثابة والدك الثاني. لقد ساعدتني فيما مضى، وأنا أساعدك منذ ذلك الوقت».

في تلك الليلة نام ماجفيتش في غرفة هيربرت، بينما لم يغمض لـ بيب جفن، وظلت الأمطار والرياح تقرعان نافذته.

وظل بيب يسأل نفسه مرارًا وتكرارًا: كيف كان بهذا الغباء؟

إن الآنسة هافيشام لم تكن أبدًا راعية له. صحيح أن السيد جاجرز هو محاميها، لكنه كان أيضًا محامي ماجفيتش.

ولهذا فإن الآنسة هافيشام لم تكن تنتوي قط أن تزوج بيب من إستيلا، وكل ما لدى بيب في حياته الجديدة كرجل نبيل قد حصل عليه من مجرم، ولذلك تملكه الشعور بالخزي.

وتبددت هذه الأفكار بسبب معرفته أن حياة ماجفيتش سوف تنتهي إذا جرى إلقاء القبض عليه؛ فالرجل لم يخاطر بحريته وحسب، بل بحياته كلها لكي يراه.

كان بيب مدينًا لماجفيتش، وقد تعين عليه مساعدته حتى يصل إلى بر الأمان، فأراد أن يخرجه من إنجلترا قبل أن يتعرض لإلقاء القبض عليه.



عاد هيربرت في اليوم التالي وأخبره بيب بكل شيء، وبوصفه صديقًا حقيقيًا وافق هيربرت على مساعدة ماجفيتش على الفرار، وكان الأمر عاجلًا؛ حيث يعتقد ماجفيتش أن هناك من رآه عند عودته إلى لندن.



وتمثلت الطريقة الوحيدة في أن يسافر ماجفيتش على متن قارب بخاري متجه إلى وجهة بعيدة، ولم يكن ماجفيتش ليخاطر بالصعود على متن قارب في العاصمة لندن نفسها، لهذا خططوا لكي يجدفوا حتى مكان ناءٍ عند مصب نهر التيمز، حيث يبيتون هناك ويلحقون بأي سفينة تعبر مــن هناك متجهة إلى هولندا أو ألمانيا.

وفي أثناء تخطيطهم وقع حادث مأساوي، فلقد احترق منزل ساتيس عن بكرة أبيه، وماتت الآنسة هافيشام في الحريق.

لقد دُمر المكان الذي رأى فيه بيب إستيلا لأول مرة في حياته فوقع في حبها، ودُمرت معه أية بقية باقية من الأمل في أن تبادله إستيلا هذا الحب. لكن لم يكن هناك سعة مــن الوقت تسمح له بأن يشعر بالأسى على حاله، فقد تعين عليه وعلى هيربرت أن يُخرجا ماجفيتش بأمان من إنجلترا.



هروب ماجفيتش

كان ماجفيتش هو الأكثر هدوءًا بينهم عندما بدأوا تنفيذ المرحلة الأولى من خطة الهروب. ظل هيربرت وبيب يجدفان، بينما جلس هو يدخن غليونه في مؤخرة قارب التجديف الصغير كأنهم كانوا ذاهبين في رحلة استجمام.



لم يعد بيب يخاف من ماجفيتش أو يشعر بالخزي لصلته به، فكل ما حاول آبيل ماجفيتش فعله تجاهه هو تقديم الخير، والآن يريد بيب أن يقدم له الخير بدوره.

قضى الثلاثة الليلة في مقهى قذر يسمى السفينة، وكانت لافتته تتحرك مصدرة صريرًا مع هبوب الرياح، وفي اليوم التالي كانت الشمس ساطعة والسماء صافية، وظلوا منتظرين عند بداية جدول مائي صغير، يتابعون دخان السفن البخارية القادمة.



ها هي ذي السفينة! جدف هيربرت وبيب بقاربهما الصغير بأقصى جهدهما لينتقلا من الجدول الصغير إلى النهر الكبير، وكانا يريدان أن يجدفا إلى جانب السفينة البخارية، وقد كُتب على أحد جوانبها «هامبورغ»، إذن هذه السفينة البخارية سوف توصل ماجفيتش إلى ألمانيا.

في اللحظة التي وصلوا فيها إلى النهر المفتوح، ظهر أحد قوارب التجديف وعلى متنه عدد كبير من رجال الشرطة، وأخذوا يجدفون باتجاههم، وقد كان قارب الشرطة أسرع من قارب بيب ورفيقيه.



استمر قارب بيب في تحركه الحثيث والشرطة في إثره، وبمجرد أن وصل الثلاثة إلى السفينة البخارية، اصطدم بهم قارب الشرطة، وألحق الضرر بقاربهم، وكان آبيل جالسًا في مؤخرة القارب، فوقع في الماء وخشي بيب أن يتعرض للأذى بفعل المجاديف الضخمة للسفينة البخارية، والتي قد تدفعه أسفلها، وعندما مرت سفينة هامبورغ البخارية إلى جوارهم سمعوا صوتًا مكتومًا لمجاديفها ورأوا جثة طافية فوق سطح المياه.

سحب رجال الشرطة جسد آبيل خارج المياه، وبالكاد كان لا يزال على قيد الحياة، ومع هذا فقد قيدوا يديه بالأصفاد.

وسمح أفراد الشرطة بأن يعود بيب معهم، فــي قارب الشرطة، بيـنــما عاد هيربرت إلى الشاطئ.

وبالكاد استــطاع آبيل ماجفيتش الكلام وهو يقول: «يمكنك أن تتــركني الآن يا بني»، وكان صوتـه واهنًا جدًّا حتى إن بيب انحنى لكي يسمعه.

قال بيب: «مستحيل، لن أتركك أبدًا، سوف أبقى مخلصًا لك مثلما كنت مخلصًا لي».



ومرة أخرى صدرت الطقطقة الغريبة من حلقه والتي يتذكرها بيب منذ زمن بعيد.

بيب يعود إلى منزل ساتيس

دون إطالة، يمكننا القول إن آبيل ماجفيتش توفي في مستشفى السجن، وظل بيب معه حتى النهاية.

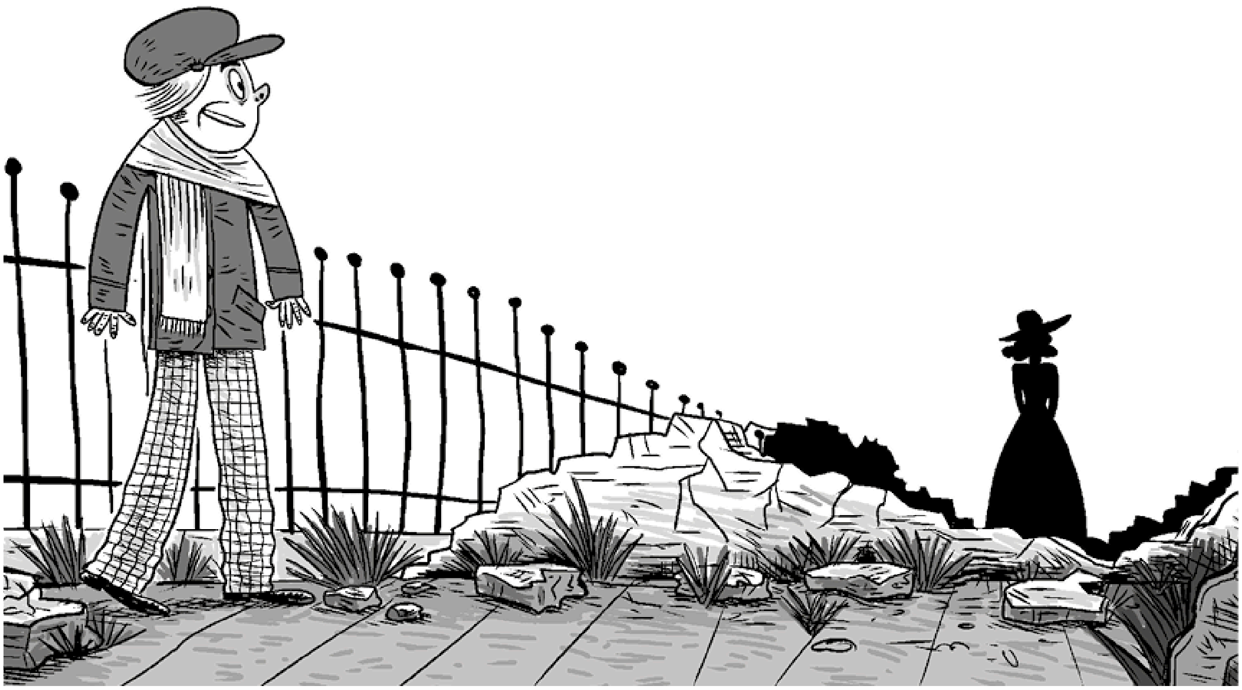
لم يعـرف آبيل أن خطته لتغيير بيب إلـى رجـل نبيل قد باءت بالفشل؛ فقد تمت مصادرة كل أمــوال مــاجفيتش بسبب خرقه القانون بعودته إلى إنجلترا، ولم يعد لدى بيب أي أموال، لكن آبيل ماجفيتش قد غير بيب بطرق أخرى، لعلها غيرته للأفضل.

عاد بيب إلى قريته الصغيرة التي نشأ فيها، وهناك عرف أن جو وبيدي قد تزوجا، وفرح بيب كثيرًا عند سماعه بهذا الخبر.



وبعدها ذهب بيب إلى منزل ساتيس. كان المكان مدمرًا بفعل النيران التي نشبت فيه، ولم يعد باقيًا فيه سوى أعمدة الجدران العارية والأرضيات المتفحمة.

وكان هناك شبح شخص آخر مثله يتحرك وسط هذه الأطلال، لقد كانت إستيلا، بقامتها الطويلة وأناقتها، ورغم أن بيب لم يكن يرى سوى تصرفاتها الباردة والتي تخلو من العاطفة، فإنه رأى الآن الحزن واضحًا في تحركاتها.



سار بيب عبر أنقاض منزل الآنسة هافيشام القديم.

وناداها قائلًا: «إستيلا».

أجابت إستيلا: «بيب؟ هل هذا أنت؟».

- «نعم، أنا».

- «جيد».

ورغم أن الظلام قد بدأ يغلف المكان، فإن بيب استطاع رؤيتها بوضوح.

كانت تبتسم.



تشارلز ديكنز

وُلد تشارلز ديكنز في بورتسموث عام 1812، لأسرة فقيرة؛ حيث عاش طفولة صعبة؛ مثل العديد من الشخصيات التي كتب عنها. وبعد بلوغه، أصبح معروفًا في جميع أنحاء العالم بكتبه، ما جعله واحدًا من أهم الكتاب والأدباء في عصره.



الغلاف الخلفي



بيــب هو مجــرد فتى عادي. ليــس لديه والدان، ويعيــش مــع أختــه المخيفة، وقــد التقى ذات مــرة بمجــرم هارب فــي ليلــة العيــد. كل هذا طبيعي تمامًا.



تـزداد الأحـداث غرابـة عندمـا يقـدم لـه شـخص مجهـول الكثيـر مـن الأمـوال. لا شـك أن بيـب يحـب حياتـه الجديـدة المليئـة بالرفاهيـة، لكـن هـل سـيعرف مـن الـذي يتكفـل بسـداد فواتيـره، ومـاذا يريـد هـذا الشـخص المجهـول منه في المقابل؟

لشراء النسخة الإلكترونية

قارئ جرير
JARIR READER

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

Arabic edition published by Jarir Bookstore

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت
www.jarir.com

Adapted by: Philip Gooden
Licensor Sweet Cherry Publishing United Kingdom [2022]

ISBN 628-1072-14-435-7
6 281072 144357
282208958